

أدب الفروسية

الفروسية في اللغة :

الفرسة والفروسية والفروسية هي الحذق بأمر الخيل وركوبها والثبات عليها والتعرف على أحوالها، وهي المعنى الحسي للمعاني المتفرعة . والفرس دق العنق والقتل ، هذا المعنى حسي مجازي تال للمعنى الأول والفرسة بالكسر تعني الفرس والثبت في النظر والتأمل في الأشياء لأدراك بوطنها . الفروسية اصطلاحا :

الفروسية في الإصطلاح تعني التمسك بالمثل العليا والقيم الأخلاقية من مروءة وعفة وشجاعة ودعوة للمستغيث وحماية الجار ، والفارس هو الإنسان الذي تتمثل فيه هذه المثل .
لقد حفل الشعر الجاهلي بالحديث عن الفروسية؛ لأنها كانت الطابع المميز للحياة الجاهلية ، والسمة الغالبة على طبائع العرب؛ ولأنها مجموعة المثل الرفيعة والبطولات الحربية التي ترددت على السنة الشعراء الفرسان ، وتجاوبت أصدائها في أطراف الجزيرة العربية .
والفروسية مظهر من مظاهر الحياة نشأت نتيجة عوامل اجتماعية وأخلاقية وحربية معينة ، وتطور على وفق أساليب حيوية شاملة، وقد ساعدت على تطوره فطرة عربية سليمة، وجدت في المثل السامية قيمها الحقيقية وهدفها السامي الذي تسعى إليه.

وقد اشتهر في العصر الجاهلي جماعة من الفرسان الذين أظهروا بطولة نادرة في حربهم مع خصومهم وأقربانهم ، وهم كثيرون ، فقد كان لكل قبيلة فارسها أو فرسانها الذين يتدربون على ركوب الخيل طولا ، ويجيدون استخدام السيوف والرماح ، ويسددون ضرباتهم إلى أعدائهم ، وقد حفلت كتب التاريخ بكثير من هذه الأسماء ، مثل : المهلهل بن ربيعة التغلبي بطل حرب البسوس وفارسها ، ومن شعره في هذه الحرب قوله :

وإني قد تركت بواردات بجيرا في دم مثل العبير

وهمام بن مرة قد تركنا عليه القشعمان من النسور

ومن فرسان العرب المشهورين نذكر عامر بن الطفيل فارس بني عامر وله ديوان شعر ، وفي معظم شعره يتحدث عن فروسيته وحسن بلائه في حروب قومه مع قبيلة ذبيان ، في مثل قوله :

لقد علمت عليا هوازن أنني أنا الفارس الحمي حقيقة جعفر

وقد علم المزنوق أنني أكر على جمعهم كر المنيح المشهر

إذا أزور من وقع الرماح زجرته وقلت له : ارجع مقبلا غير مدبر

فهو يصور اقتحامه للحروب ، وأنه لا يتخلى عن بسالته الحربية حتى يحمي عشيرته وضعفاءها ونساءها ، وأنه لا يزال يرد إلى الحرب على فرسه (المزنوق) كلما خرج منها ، وإن أزور عنها أو انحرف دفعه فيها دفعا .

ولعل أشهر فارس عرفته العرب ، وبقي خالدا في ذاكرة الأجيال إلى يومنا الحاضر ، هو عنتره بن شداد العبسي ، لذلك سنتحدث عن هذا الشاعر بالتفصيل .

عنتره بن شداد :

هو عنتره بن شداد بن عمرو بن قراد بن مخزوم بن شوف بن مالك بن عبس ، وشداد جده أبو أبيه ، وغلب عليه اسم أبيه فتسب إليه : وقال آخرون شداد عمه . نشأ عنتره في حجر أمه ، قسب إليها دون أبيه ، ثم ادعاه أبوه بعد الكبر ؛ لأنه كان لأمة سوداء لسمها (زبيبة)، وكانت العرب في الجاهلية إذا كان للرجل منهم أمة استعبده ، وكان سبب لدعاء أبي عنتره إياه ، أن بعض أحياء العرب أغارت على بني عبس ، فأصابوا منهم ، فتبعهم العبسيون فلحقوهم وقاتلوهم ، وعنتره كان فيهم، فقال له أبوه : كر وأنت حر ، فكر عنتره وقائل وأبلى في قتاله ، واستنقذ ما كان بأيدي عدوهم من الغنائم ، فادعاه أبوه بعد ذلك والحق به نسبه .

وهو أحد اغربة العرب ، وهم ثلاثة : عنتره وأمه (زبيبة) ، وخفاف بن عمير الشريدي وأمه. (ندبة) ويعرف ب(خفاف بن ندبة) أي ينسب إلى أمه ، وكانت سوداء ، والسليك بن عمير السعدي ، وأمه (السلكة) وإليها ينسب لذلك يعرف ب (السليك بن السلكة) وكانت أمه سوداء أيضاً .

ويعد: عنتره من أشجع أهل زمانه ، وأجودهم بما ملكت يده ، وكان لا يقول الشعر إلا البيت والبيتين والثلاثة ، حتى غيره رجل من بني عبس بأنه لا يقول الشعر ، فكان أول شعره قصيدته :

هل غادر الشعراء من متردم
وهي من أجرد شعره وتسمى (المذهبة) .

شهد عنتره حرب داحس والغبراء بين عبس وذبيان فحسن فيها بلاؤه، وكثرت فيها محامده .
شعره :

وضع ابن سلام عنتره في الطبقة السادسة من الشعراء الجاهليين ، وهو أحد الشعراء الفرسان الذين طارت شهرتهم بالفروسية والشجاعة النادرة، وما زالت بطولة هذا الفارس الشجاع عالقة في لذهاننا إلى اليوم ، فهو المثل في البسالة والبطولة الحربية والخلقية الرفيعة ، فهر مع فروسيته وبذله لنفسه في سبيل قومه صاحب خلق رقيق وسجايا ، فهو لا يقبل بالبغي ، ولا يظلم احدا ، ولكنه لا يقبل بالظلم ، وإذا دعي للمكرمات استجاب لها ، لذلك يقول لأبنة عمه :

أثني عليّ بما علمت فأثني	سمح مخالفتي إذا لم تكلمي
فإذا ظلمت فأني ظلم باسل	مرّ مذاقته كطعم العلقم
وإذا شربت فأنني مستهلك	مالي وعرضي وافر لم يكلمي
وإذا صحوت فما اقصر من ندى	وكما علمت شمائي وتكرمي

إن شعر عنتره يصور لنا المروءة العربية قبل الإسلام ، وهي مروءة طرزها حب عذري عفيف
لابنة عمه (عبله) التي خارب من أجلها ، واستبسل في القتال ، وذاد عن قومه من أجلها ، رحما
حماهم ، لذلك يقول :

ولقد ذكرك والرماح نواهل مني وبيض الهند تقطر من دمي
فوددت تقبيل السيوف لأنها .. لمعت كبارق ثغرك المتبسم
لقد كان عنتره من فرسان العرب المعدودين المشهورين بالنجدة والبأس وكان يقال له " عنتره
الفوارس " لأنه لم يعجز يوما عن صيد الفرسان الدارعين ،
لذلك يقول :

ومدجج كره الكماة نزاله لا ممعنا هربا ولا مستسلم
جادت له كفى بعاجل طعنة يمتقف صدق الكعوب مقوم
لقد كان عنتره أشجع أهل زمانه ، ومضرب المثل حتى أن الشاعر عمرو بن معد يكرب الزبيدي
قال عنه : " ما أبالي من لقيت من فرسان العرب مالم يلقي حراها وهجيناها " يعني بالحرين :
عامر بن الطفيل . وعتيبة بن الحارث ، والعبدین عثرة والسليك بن السلكة ..
وكان النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) يعجب بشعر عنتره ، لذلك عندما اشد قول عنتره :
ولقد أبيت على الطوى وأظله حتى أنال به كريم المأكل
قال النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) : " ما وصف لي أعرابي قط فأحببت أن أراه إلا
عنتره "

ومن معلقته إن كنت جاهلة بما لم تعلمي اخترنا الأبيات الآتية :
هَلَّا سَأَلْتُ الْخَيْلَ يَا ابْنَةَ مَالِكٍ
يُخْبِرُكَ مَنْ شَهِدَ الْوَقْبَةَ أَنَّنِي
وَمُدَجَجٍ كَرِهَ الْكُمَاةَ نِزَالَهُ
جَادَتْ يَدَايَ لَهُ بِعَاجِلِ طَعْنَةٍ
فَشَكَّكَتْ بِالرُّمَحِ الْأَصْمِ ثِيَابَهُ
فَتَرَكْتُهُ جَزَرَ السِّبَاعِ يَنْشَنُ
فَطَعْنَتْهُ بِالرُّمَحِ، ثُمَّ عَلَوْتُهُ
إِنْ كُنْتُ جَاهِلَةً بِمَا لَمْ تَعْلَمِي
أَغَشَى الْوَعَى وَأَعَفَّ عِنْدَ الْمَغْنَمِ
لَا مُمَعِنٍ هَرَبًا، وَلَا مُسْتَسْلِمٍ
بِمُتَقَفٍ صَدَقِ الْكُؤُوبِ مُقَوِّمٍ
لَيْسَ الْكَرِيمُ عَلَى الْقَنَا بِمُحَرَّمٍ
مَا بَيْنَ قُلَّةِ رَأْسِهِ وَالْمِعْصَمِ
بِمُهَنْدٍ صَافِي الْحَدِيدَةِ مِخْدَمٍ